صرخة القط البري

محمود سالم

صرخة القط البري

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

صرخة القط البري

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٦ ٢٩٨٣ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ٢٠٠١.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
رجل في مهمة خاصة!	١١
شروعٌ في قتل أحمد!	١٧
المطاردة!	٢٣
شريحة الأسرار!	٣١
الضربة الكبرى!	٣٩

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

رجل في مهمة خاصة!

رغم أنه رأى مَن يعبث بحقيبة يده الصغيرة التي تركها على الكرسي المجاور له، في أحد مطاعم «الوجبات السريعة» إلا أنه لم يهتمَّ. أو تظاهر بذلك، وتركه يُتمُّ مهمتَه، وهو يراقب ملامحه في هدوء.

فهو لا يعرف إن كان لصًّا عاديًّا، أم أنه رجلٌ في مهمة خاصة.

كان الرجل في الأربعين من عمره تقريبًا ... هادئ القسمات ... رشيقَ الحركات ... يبدو من مظهره أنه ليس لصًّا عاديًّا ... وعندما اقترب الجرسون يحمل الغداء لـ «أحمد»، اعتدل في جلسته، وبدَت على وجهه علاماتُ الارتياح. وبدأ يستعدُّ لمغادرة المطعم، مما يدلُّ على أنه أنهى مهمته بنجاح، رغم أنه لم يأخذ شيئًا من الحقيبة. فهل وضع بها شيئًا؟

وتساءل «أحمد»: هل يعني أنه من جماعة الشياطين، أم أنه من إحدى المنظمات المتعاونة معهم؟ وأراد أن يعرف ذلك بالنظر والتحديق في عينيه. فوجده يهرب بهما بعيدًا، ويغادر المطعم مسرعًا.

ودون أن يتناول طعامه، ترك الحساب ومعه بقشيش كبير بجوار الأطباق ... ولَحِق بالرجل يراقبه عن بُعد. وعبرَ خلفه الطريق ... وبعد مسافة سير قصيرة ... فتح باب سيارته ... مما أشعر «أحمد» بحرج الموقف. فقد ترك سيارته أمام المطعم، فهل يعود إليها جريًا، أم يهاجمه ويعرف ما وراءه؟ ورأى أن الفكرة الأولى هي الأصوب، إلا أنها أضاعَته منه ... وفي طريق عودته إلى المقرِّ الفرعيِّ بالهرم، أفرغ محتوياتِ الحقيبة، فلم يجد شيئًا قد اختفى منها ... إلا أن قلمه الحبر قد تم العبث به؛ فقد وجده مفتوحًا، رغم أنه يحرص دائمًا على إحكام غلقه، حتى لا يسيلَ منه الحبر ... وقد كان يحب الكتابة بهذا النوع من الأقلام بالذات.

فتفحص غطاءَه برفق ... فوجد أن جسمًا غريبًا يُشبه كبسولة الدواء قد حُشر في آخره ... مما جعله يتساءل ... هل هي رسالة؟ أم أنها قنبلة صغيرة الحجم، ذات مهمةٍ تفجيرية محدودة، أم أنها تحوي غازًا سامًّا ... أو مخدرًا ... وعند إغلاق القلم ... تتم مهمته، إما بموته ... أو بنومه؟ والأخيرة تعني أن هناك مَن يراقبه حتى ينام، فيحصل منه على شيء ما. أو عليه هو ... أي اختطافه ...

وقد جعلَته الفكرة الأخيرة ... يراقب في المرآة ... ما يتحرك حوله من سيارات إلا أنه فطن إلى أن هذه الكبسولة لن يكون لها تأثير ... إلا إذا قام بإغلاق القلم.

لذا فقد لفَّ الغطاء وحده، وكذا باقي القلم في مجموعة من المناديل الورقية ووضعها برفق في تابلوه السيارة.

وشعر وقتَها بحاجته للاتصال بأحد الشياطين ... إلا أنه تذكَّر أنهم بالمقرِّ السريِّ الكبير بالصحراء الغربية ... والاتصال بهم سيحتاج لجهاز اتصال ذي ترددات عالية لبُعد المسافة ... مما قد يؤثر على القنبلة الكبسولة المجهولة الهوية ... فيؤدي إلى انفجارها ورغم ازدحام الأفكار في رأسه، كانت عيناه على الطريق من خلال مرآة السيارة، فلاحظ أن سيارة «مرسيدس» رياضي سوداء، لها فوانيس كعيون «القط البري» تُتابعه عن بُعد، ويحاول قائدها الاحتفاظ بمسافة ثابتة تقريبًا بين السيارتَين ... فغمغم قائلًا لنفسه: أخيرًا وجدتُ مَن يسلِّيني.

وعبر أحد الشوارع الجانبية، خرج من شارع «الهرم» إلى شارع «فيصل» وترك مراقبَه يحاول التخلص من زحام السيارات للحاق به.

وفي شارع «فيصل» كان «أحمد» يسير ببطء. وكأنه ينتظر حضورَ مراقبِه، وقد كان؛ فلم تمضِ عشر دقائق إلا وكان «القط الأسود البري» يراقبه عن بُعد مرةً أخرى.

وهنا تأكد أن الكبسولة المحشورة في غطاء القلم، ما هي إلا جهاز إرسال يقوم بإطلاق إشارات، يتتبَّعُها جهاز استقبال موجود في سيارة الرجل المطارِد، وبذلك يضمن ألَّا يغيبَ عن عينيه.

وبعد اتصال سريع أجراه بالمقرِّ الفرعيِّ، انحرف في أحد الشوارع الجانبية، وحين عاد إلى الطريق، كان قد بدَّل سيارته مع أحد أعضاء المنظمة. وتنفَّس قائد «القط الأسود» الصعداء؛ فقد رأى صيده يعود مرةً أخرى ... ولم يعرف أن مَن بالسيارة رجل آخر غير «أحمد» ... وأنه يتابعه من الخلف في سيارة «شيروكي»، وأنه أصبح مثل إصبع «السجق» في «السندويتش».

وابتسم «أحمد» حين تخيَّل الرجل وهو ينام وسط الصلصة وشرائح الخضراوات؛ فقد مرَّ برأسه نفسُ الخاطر ... وفجأة ... ووسط ازدحام الطريق، وبالقرب من ترعة «المريوطية» رأى ذراع رجل المنظمة تُفرد عن آخرها خارج السيارة، مطوحةً في الهواء بغطاء القلم ... الذي ما إن استقر على الأرض، إلا وأحدث دويًّا هائلًا لا يتناسب مع حجم الكبسولة المحشورة فيه ... ولمح في هذه اللحظة سيارة الرجل المطارِد تحاول الخروج من الزحام إلى أحد الشوارع الجانبية مما أحدث ارتباكًا في حركة المرور، وعلَت أصوات آلات التنبيه واختلطَت بصيحات غضب الكثير من قائدي السيارات، فحوَّل اتجاهه إلى الرصيف الفاصل بين الاتجاهَين، وعبرَه في سهولة ويسر، وأطلق العنان لسيارته في اتجاه الجيزة.

جُنَّ جنون «أحمد»؛ فقد كانت سيارته غارقة وسط الزحام، إلا أنه لمح سيارة رجل المنظمة تنطلق خلف «القط البري» في براعة، في اللحظة التي شعر فيها بوخز في رسغه من ساعة يده، فعرف أنها رسالة، وكانت تقول: سنتصل بك بعد ساعة في المقر ... الشياطين.

فلم يجد مفرًّا من التوجه إلى المقر، وترك مطاردة «القط البري» ... لرجل المنظمة ... واتصل به ليُخبرَه بذلك، فعرف منه أن سيارات الشرطة قد أحاطَت به عند نفق الجيزة ... وأنه مقبوضٌ عليه الآن، ويجلس بجواره ضابطٌ شابٌّ ... أما عن القط البري ... فقد هرب.

كان «أحمد» يعرف أن رجل المنظمة سيُفرَج عنه بمجرد وصوله إلى مديرية الأمن، وليس هذا ما يشغله. بل ما يشغله هو ... لماذا وضع ذلك الرجل القنبلة في حقيبته؟ ومَن يكون هو؟ وكيف عرفه، وأين هو الآن؟ وماذا سيفعل بعد أن علم بفشل مهمته ... وهل سيُكررها ... وهل هو ثأر شخصي أم أنه عميل لمنظمة ما؟

وحده في قاعة الاجتماعات، جلس «أحمد» يتلقَّى رسالة المقر. وقد بدأَت بتقرير يقول: في عملية «ثورة الأخطبوط»، تمَّ تصوير فيلم كامل لما كانت تحتويه الأنبوبة العملاقة، وقد تم نقل هذا الفيلم على ديسك كمبيوتر يحوي أيضًا الكثيرَ من المعلومات.

وقد تم تشفير هذا الفيلم ... وتشكُّ البقية الباقية من جماعة «سايبرسبيس» في وجود نسخةٍ من الديسك تحمل حلَّ الشفرة، مع المجموعة التي اشترَكت في عملية «ثورة الأخطبوط» وهم لا يعرفون من هذه المجموعة غيرك أنت و«إلهام» ... وسيحاولون الوصول للديسك أولًا بأي ثمن ...

انتهى التقرير وانتهَت رسالة المقرِّ ... ولم يستدعه رقم «صفر» للحضور، ولم يُكلِّفْه بمهامَّ جديدةٍ، فتخلص من آثار اليوم، وتناول عشاءه، واستسلم للنوم في غرفته، غير شاغل نفسه بشيء؛ فقد نصحهم طبيبُ المقرِّ بعدم التفكير أثناء الاستلقاء على السرير استعدادًا للنوم. فالسرير للنوم ... وللتفكير أماكن أخرى.

وقُرب الفجر ... شعر بحركة غريبة حول المقرِّ، ثم في حديقة الفيلا، فانتفض واقفًا؛ فقد اقتربت هذه الحركة جدًّا، حتى إنه شعر بخطوات داخل مبنى المقر ... واتصل بأمن البوابة ... فأخبروه بأنهم مجموعة من الشياطين ... وبالاتصال بهم، عرَف أنهم يسألون عنه ... فوعدهم باللقاء في قاعة المعيشة.

كان «أحمد» في شوق لرؤية الشياطين، فقصَّ عليهم ما حدث، فأخبرته «إلهام» بأن «القط البري» هذا يذكِّرها بعلامة كانت تراها على كفِّ أحد الحراس في نادي «إيجل كلوب» في «سويسرا». وقد كان هذا الإنسان بالذات فظًّا جدًّا معها ... وكان رأيُ «أحمد» أنه ليس من المعقول الربط بين نوع سيارة وبين علامة على يد رجل ... فقال له «مصباح» ألم تلاحظ هذه العلامة على ملابس ذلك اللص أو جسده؟

«أحمد»: كل ما أذكره ... أن جسده رشيقٌ جدًّا، وتكوينه رياضيٌّ، وحركاته مرنةٌ وقراراته سريعةٌ.

«إلهام»: إنها صفات قريبة الشبه من «القط البري» ...

«ريما»: ألم تنظر في عينيه؟

«أحمد»: نعم، ولكنه كان يراوغ بهما بعيدًا عني.

«عثمان»: لقد بدأتم تُثيرون فضولي ... فقط أطلق «أحمد» دون قصد اسمَ «القط البري» على الرجل، واصفًا سيارته، ليتضحَ في النهاية، أن كلَّ شيء في هذا الرجل يُوحي بأنه قطٌّ بريٌّ.

أحمد: نعم ... فعندما شاهد انفجار غطاء القلم، الذي وضعه في حقيبته، وكان الشارع مزدحمًا من حوله، وأراد أن يهرب بالسيارة ... صَعِد بها على الرصيف الفاصل بين الاتجاهَين، في جرأة بالغة ليتحول إلى الاتجاه المضاد.

عثمان: من الواضح أن العملية القادمة هي عملية «القط البري».

زبيدة: تقصد أنها جماعة، لها صفاتُ القط البري، وتُطلق على نفسها هذا الاسم ... أي تتخذه شعارًا لها؟

أحمد: لِم لا؟

إلهام: وما الهدف الذي تسعى وراءه؟

أحمد: الهدف يتفق مع معرفة على ما تعيش القطط البرية؟

عثمان: على الصيد.

إلهام: إذن هذه الجماعة مهمتها الصيد؟

أحمد: نعم ... ولكن ليس الصيد لتأكل.

ريما: ولكن لتقايض.

فقال «فهد» بصوت مزمجر: أفهمكم.

فضحك الشياطين، وقال «عثمان»: طبعًا تفهمنا يا «فهد» ... فأنت نوع من الأنواع الكثيرة للقطط. ولكن ... هل أنت قريب الشبه بالفهد حقًّا؟

إلهام: نعم ... فأنا أعرف أن «فهد» ذو طبيعة جميلة، وهي طبيعة تتسم بها بلده «سوريا» ... كـ «لبنان» بلدي. وهذه الطبيعة تُكسب صاحبَها صفاتٍ بريةً. وبالذات إذا كان حبُّه للجبل يفوق عشقَه للسهول.

فهد: لقد تأثرتُ في ذلك بوالدي رحمه الله ... الذي مات في الجولان وهو يحارب ضد احتلال إسرائيل لها.

مصباح: وما موضوع المقايضة هذا؟

فهد: أي يقومون بعمليات صيد لصالح آخرين، نظير تقديم الآخرين خدمات لهم.

انقطع الحديثُ فجأة؛ فقد شعر الجميع بوخز في رسغهم وعرفوا أنها رسالة، فضغط «أحمد» زرَّ ساعته، وقرأ على شاشتها: افتح جهاز الاستقبال. فأشار لـ «عثمان» الذي قام بإدارته ... في اللحظة التي ردَّ فيها على الرسالة بكلمة: عمل اللازم. فملأت الشاشة رأس سوداء، غزيرة الشعر، يتوسطها عينان فضيتان لامعتان ... تعاطفَت «إلهام» معها قائلةً: يا لَه من قطٍّ جميلٍ!

إلا أنه كشَّر عن نابَين طويلين برزَا خارج فمه لأسفل.

فصاحَت «ريما» قائلة: إنه يفعل كأسد شركة «مترو» للسينما!

وهنا ردَّ «صفر» قائلًا: نعم. ولكنها ليست هذه المرة شركة إنتاج، بل جماعة من الجماعات المعادية للعرب وللإسلام، وهي منتشرة في أنحاء العالم الغربي، وفي «أمريكا». وقد اتفقت هذه الجماعة في الهدف مع جماعة «سايبرسبيس»، فاستخدمتها الأخيرة للانتقام منَّا، فأصبح لها مهمةٌ مزدوجة.

أحمد: وما هي؟

صفر: الأولى ومهمتها الرئيسية هي إنتاج أو المساعدة في إنتاج أعمال فنية تساعد على تشويه صورتنا، والبُعد عن مبادئنا ودِيننا وأخلاقنا.

إلهام: ثم!

صفر: ثم نصير شعوبًا بلا هوية ... أي تابعة، ويسهل وقتَها قيادتنا من أصحاب المصلحة. وتُحقق بذلك إسرائيل حلمَها القديم، في دولة من النيل إلى الفرات، وهم في سبيل ذلك يُقدِمون على فعلِ أيِّ شيء، كالقتل.

أحمد: والخطوة القادمة؟

صفر: هم الآن في حالة إثارة، بعد الضربة التي قمنا بها في «أنماس بسويسرا»؛ لذا سيبادرون هم بالحركة المستمرة والدائمة. وذلك له أكثر من فائدة.

الأولى: أن ذلك يؤدي بهم للوقوع في أخطاء، سنجعلها نحن مداخلنا إليهم.

الثانية: أننا سنقف على طريقة عملهم، وأساليبهم الدفاعية والهجومية.

الثالثة: أن نُرهقهم بكثرة الحركة ونصطادهم نحن وهم متعبون.

إلهام: إنها طريقة «القطط» في اصطياد «الفئران».

صفر: هذه المرة ... ومعنا نحن، سيكونون هم الفئران.

كان حديث «صفر» الواثق النبرات ... يُثير حنَق «أحمد»، وقد لاحظَت «إلهام» ذلك. فسألَته قائلة: ماذا بك يا «أحمد» ... ألستَ راضيًا عمَّا يقوله الزعيم؟

أحمد: بصراحة لا ...

فقالت «إلهام» في دهشة: لماذا لم تناقشه إذن، وهذا حقُّنا كما تعلَّمنا ... ألَا تذكر؟

أحمد: نعم ... من حقك ألَّا ترضى، ولكن من حقنا أن نعرف لماذا؟

إلهام: نعم؛ فليس من حقك أن تُخفيَ عدمَ رضائك، وإلا سيكون خطرًا على المجموعة.

ابتسم «أحمد» وهو يقول: ليس الأمر بهذه الخطورة.

إلهام: كيف؟

أحمد: الموضوع أن الزعيم قلَّل من خطورة مواجهة القط البري ... إلى الحدِّ الذي ضيَّع عليَّ الشعور بمتعة المنافسة ففقدتُ حماستي للتعامل معها، وهنا تدخَّل «مصباح» قائلًا: لست معك في هذا؛ فلم يقلل «صفر» من خطورة «القط البري» ولكن كشف لنا عن أسلوب مواجهته.

ريما: لا لا ... لقد فهمت. فـ «أحمد» كان يريد تحديدَ أسلوب العمل بنفسه وفقًا لما تقتضيه الظروف.

أحمد: ولكن في حدود الخطة الكلية العامة التي يضعها المقر.

إلهام: ألَا يكفي أننا لم نُكلَّف بمهمة محددة حتى الآن ... أي أنهم يتركون لنا تحديد المدخل لمواجهتهم.

شروعٌ في قتل أحمد!

في غرفة المعلومات بالمقر الفرعي، جلس الشياطين خلف أجهزة الكمبيوتر يبحثون عن معلومات عن جماعات الجريمة المنظمة فلم يصلوا إلى جماعة «القط الأسود» وبالتالي ... فإن ملف العملية ينقصه الكثير من المعلومات ... فهل سيجلسون في المقرِّ انتظارًا لوقوع ذلك القط الذي طارد «أحمد»؟ أم يجوبون الأماكن العامة بحثًا عنه؟ وهل لا يزال هذا الرجل في مصر ... أم سافر خارجها؟

ورأى «أحمد» أنه لن يسافر دون إتمام مهمته ... والتي لم تَعُد التخلص منه فقط ... بل الحصول على الديسك قبل كشف ما به، وإن اضطروا إلى التخلص من جماعة الشياطين كلهم. هذا إذا كان يعرفهم. ولكن ما الخطورة في تواجد هذا الرجل وحده أو ضمن مجموعة، أتَت لنفس الغرض؟

وكانت إجابة «إلهام»: إن خطورة تواجده تكمن في أنهم معرَّضون للقتل على يده ... وهذا يكفي. إلا أن هناك الكثير غير ذلك، وهو إمكانية بقاء هذه المجموعة لمساعدة مجموعات أخرى مشبوهة في «القاهرة»، أو في العاصمة الثانية «الإسكندرية» في المهام التي ذكرها «صفر» بالذات.

وهنا استطاع «أحمد» تحديدَ المهمة الأولى، ألا وهي ... إعداد ملف العملية. ولكن السؤال الذي طرح نفسه هنا هو ... كيف يتم ذلك؟ فأغلق جهاز الكمبيوتر، والتفتَ إلى الشياطين الذين فعلوا نفس الشيء. فنظر إليهم مليًّا ثم قال: إن إعداد ملف للعملية يتطلب أن يكون لدينا معلومات عن هذه القطط، ولكن للأسف هذا غير متوفر؛ فنحن لا نعرف غير هذا القط الذي طاردني؛ لذلك ... فهو الورقة الوحيدة التي نستطيع قراءتها في ملف هذه العملية ... هذا إذا استطعنا الحصول عليه ... وذلك يحتاج إلى بحثٍ مُضنٍ في «القاهرة»، وبالطرق الاعتيادية أولًا؛ كحصر أعداد السيارات المرسيدس السوداء من هذا الموديل. ومن

ثَم معرفة أصحابها. وإن كانت بعض مكاتب تأجير السيارات، تؤجر مثل هذا الموديل. وأيضًا سيارات الإفراج المؤقت «التربتيك» وهي التي يحضر بها صاحبها من الخارج فترة إقامته في «مصر» فقط، ثم يعود بها إلى بلده مرة أخرى في نهاية إجازته ... ويدفع عنها ضرائبَ ورسومًا معينة.

فهد: إنها مهمة يسيرة، تقوم بها إدارة المنظمة.

أحمد: الخط الثاني ... هو محاولة اصطياد هذا القط.

عثمان: اصطياده ... كيف؟

أحمد: إذا أردت أن تُخرج فأرًا من مكمنه فماذا ستفعل؟

عثمان: أضع له قطعة جبن.

أحمد: وإن كان قطًّا؟

إلهام: نلوح له بفأر.

أحمد: هذه هي الخطة؟

ريما: تقصد أن نوقع بالقط الذي يطاردك بفأر؟

أحمد: أقصد بالفأر ... الصيد الذي يريده هذا الرجل.

ريما: نعم ... أعرف. تقصد الديسك.

أحمد: وأنا!

وفي نفس الميعاد، وفي نفس المطعم، جلس «أحمد» يتناول غداءَه، ولكن دون حقيبة؛ فقد تُلِفت هذه الحقيبة، نظر مطارده إلى أنه ينوي شيئًا بعد ما حدث.

حضر الجرسون إلى «أحمد» مرتديًا نظارةً شمسية، وثوبًا أنيقًا نظيفًا، وانحنى قليلًا يُحيِّيه في ليونة ورشاقة، ثم قدَّم له قائمة الوجبات، فنظر إليها بعين، والأخرى تحدق به دون أن يلاحظ ... فلفت نظرَه أنه هو الآخر يحدِّق فيه. فأسرع في طلب ما يشتهي، ثم نهض ليقف بجوار العامل الذي يقوم بشيِّ الشاورمة، حتى أنهى تجهيز الساندويتشات، ثم تابع الآخرين وهم يُعدون له السلطات وغيره. ثم جلس ونفسه تُحدِّثه بأن هذا الشاب ربما يكون هو القط البري. وقد يضع له مخدرًا في الطعام، إن لم يكن سمًّا. ولم يرفع عينَه عن صينية الغداء، حتى وضع أمامه محتواها. فانهمك في تناول طعامه وعيناه يقظتان لحركةِ ذي النظارة السوداء ... وبداخله هاجسٌ يقول: إن وراء زجاج هذه النظارة ... عينَي قط ... فملامحُ وجهِه ملامحُ قطٍّ ينقصه الشعر، فقرَّر أن يأتيَ بحركة ما، تؤدي إلى سقوط النظارة عن عينَيه، إلا أنه عاد وعدَل عن هذه الفكرة؛ فقد تُثيره ... إن كان هو حقًّا

... فيفرُّ ... ولا يستطيع الحصول عليه مرة أخرى. فأنهى طعامَه مُسرعًا ... وخرج من المطعم قاصدًا سيارتَه. فوجد قسيمةً مخالفة ملتصقة بالزجاج، فتعجَّب؛ فالسيارة ليست واقفةً في الممنوع، إلا أن شكل القسيمة لفت نظرَه إلى أنها قد تكون رسالة. فنزعها وقلَّبَها، فقرأ على ظهرها تحذيرًا يقول: «لا تركب السيارة إلا بعد فحصها.» إمضاء «عثمان».

في هذه اللحظة لفت نظرَه أن الجرسون ذا النظارة السوداء، يراقبه من خلف حوائط المطعم الزجاجية ... ففتح السيارة، واستقرَّ خلف عجلة القيادة، وفي رأسه تدور ألفُ فكرة، تصطدم بألف سؤال.

فتفحص السيارة بعناية، فلم يستدلَّ على أيِّ شيء يشير إلى أن أحدًا قد عبث بها ... ولكن هذه الرسالة ... ألم تكن من «عثمان». وهو يعرف خطَّه وأسلوبه جيدًا. ثم الإمضاء الكودي الذي يتفق عليه كلَّ يوم مع كمبيوتر المقر. إذن فالرسالة من «عثمان». ولكن تُرى لماذا يحذره من ركوب السيارة دون فحصها؟ فأدار بصرَه مرة أخرى داخل السيارة ... فأدار مفتاح التشغيل ببطء، منتظرًا سماعَ صوتِ انفجار يدمر السيارة وهو بداخلها، إلا أنها دارَت بلا مشاكل، وغادر مكان الانتظار، وها هو في شارع «جامعة الدول العربية» يسير وعيناه على المِرآة ينتظر ظهور «القط الأسود»، ومرَّت الدقائق بطيئةً، وعند سور نادي الزمالك انحرف إلى شارع جانبي، ثم دار دورةً كاملة عائدًا إلى الطريق مرة أخرى، ولكن في الاتجاه العكسي، فلم يظهر القط الأسود أيضًا.

ولكن رأى في المرآة مَن يشير له من الخلف، فأوسع له الطريق حتى مرَّ بجواره، فقال له: إن زيت الفرامل قد تسرَّب كلُّه تقريبًا إلى الشارع.

انزعج «أحمد»؛ فقد كان يسير بسرعة كبيرة ... وعن بُعد رأى إشارةً تزدحم بالسيارات وقفوا في صفوف متراصة، وشعر أن كارثة ستقع، إن ظل على هذه السرعة وظلت الإشارة مقفولة.

أخذَته المفاجأة ... فلم يلاحظ «القط البري» إلا عندما لمح في السيارة التي تمرُّ بجانبه، مَن يبتسم له من خلف النظارة السوداء ابتسامةَ زهوٍ وتعالٍ.

وتمنَّى في هذه اللحظة رؤيةَ عينَي هذا الشاب الذي تخلف بالسيارة إلى الوراء وتركه يلاقي مصيره ولم يستطع إيقاف السيارة، أو تقليل سرعتها.

اقتربَت السيارة من الإشارة المكدسة بالسيارات، وليس من حلٍّ؛ فقد اكتشف أن عطلًا أصاب فرامل اليد، وعرف لماذا حذره «عثمان»، وشعر أنه بمكانٍ قريبٍ منه، ويرى ما يحدث، فهل سيتدخل؟ وكيف ... وماذا سيفعل؟

على الأقل سيساعد في فتح الإشارة التي اقترب منها جدًّا ... لمنع مأساة مروعة، إن وقعت ... لن يكون هو وحده ضحيتها ... بل الكثير من السيارات ... وقد تؤدي شدةُ الاصطدام لاشتعال النيران ... فتنفجر كلُّ هذه السيارات، وعلى غير انتظار ... سمع سارينة سيارة شرطة من خلفه، فأفسح لها الطريق، وعند مرورها بجواره، رأى فتًى أسمرَ مليحَ الوجه، يحبه كثيرًا ... إنه «عثمان» يبتسم في ثقة ... وقبل أن يبلغ الإشارة كانت كل السيارات قد انصرفَت ... وأصبحَت المشكلة هي ... كيفية إيقاف السيارة ... وهي بهذه السرعة ... إلا أن عناية الله قد ألهمَته بفكرة جيدة، وهي أن صعوده لذلك المطلع سوف يمتص قوة اندفاعها ... لحظتَها فقط عرَف لماذا سبقَته سيارة الشرطة ... وبها «عثمان» إلى مطلع الكوبري.

وعند نهاية المطلع ... توقَّفت السيارة تمامًا ... وكان «أحمد» قد أوقف موتورها. إلا أنها بدأت في التحرك للخلف، منحدرةً على مطلع الكوبري، الذي تحوَّل إلى منزل لها. فنزل مسرعًا ولحق به «عثمان» ... فأوقفها، وهما يتضاحكان على هذا الموقف، وعلى هذا القط الذي يُجيد فنَّ نَصْب الشباك.

وأول ما قاله «عثمان» هو: وماذا بعد يا «أحمد»؟

أحمد: حتى الآن لم يحدث شيءٌ خطيرٌ، وما فعله هذا القط من باب الأساليب القديمة.

عثمان: أساليب قديمة ... وكادت تؤدي إلى كارثة ... فما بالك إذا ما استخدم الأساليب الحديثة!

أحمد: ألم تسأل نفسك ... لماذا لم يستخدمها حتى الآن؟

عثمان: ليس بالطبع؛ لأنه لا يعرفها.

أحمد: لا ... ولكن لأنه لا يعرف شيئًا عنَّا ... ولا يعرف غيري أنا و«إلهام» ... وهو في حاجة إلى الديسك.

عثمان: ولكن كيف سيصل إلى الديسك، بقتلك؟

أحمد: نحتاج مناقشة هذا الأمر بهدوء شديد، وموقف غير الذي نحن فيه الآن.

عثمان: على فكرة ... لم تَعُد وحدك المطارَد ...

أحمد: هل طاردوك؟

عثمان: لا ... ولكن بالتأكيد قد رأوني معك ...

أحمد: لا أظن ... فقط أنت أحد المصريين المشهورين بالشهامة، تساعدني.

عثمان: أتظن ذلك؟

اقتربَت عربةُ الشرطة، وحملَتهما إلى أول شارع «جامعة الدول العربية»؛ حيث كانت تقف سيارة «عثمان» ... فتوجهوا بها إلى المطعم ليستفسروا عن ذلك القطِّ البري. وكيف التحق بالعمل كجرسون، وفي هذا اليوم بالذات ... فعرف عنه أنه يعرف أكثر من لغة. وأن لكنتَه غيرُ عربية، مما يدل على أن اللغة العربية ليست لغتَه الأساسية، وعرف أيضًا أن مهارته في العلاقات العامة ممتازة ... وهذا ما أهَّله بالقبول كموظف في المطعم ... وقد كان يرتب له صاحب المطعم في داخله أمورًا كثيرة، للاستفادة من هذه المهارات ... لولا اختفاؤه المفاجئ غير معروف الأسباب.

فسأل صاحب المطعم: ألم ترَ أوراقه الشخصية ... بطاقة ... جواز سفر ... أي شيء يدل على شخصيته ... جنسيته؟

صاحب المطعم: للأسف لم يحدث ذلك، ولذلك أسباب سأحكيها لك.

لقد حضر هذا الرجل منذ أيام كزبونٍ ... وتناول الطعام أكثر من مرة، وكان يدفع بقشيشًا سخيًّا للعاملين ... وقد احتكَّ بي بلباقة، وفتح معي مجالًا للحديث. وتطرَّقنا إلى أمور كثيرة، وبدَا لي أنه مثقفٌ جدًّا، ويستخدم مصطلحات إنجليزية، وفرنسية، ومن لغات أخرى في ثنايا حديثه ... وقد أقنعني أنه دارسٌ للعلوم الاجتماعية ... ويهمُّه الاحتكاك المباشر مع مواطني الدولة التي يزورها، ليقف بشكل واقعي على عاداتهم وتقاليدهم وطباعهم وغيره ... ولذلك عندما طلب مني العمل في المطعم، كانت لديه عندي أسبابه المقنعة. ولم أطلب منه أوراقًا، وكنت أتمنَّى أن أحثَّه على البقاء في مصر.

أحمد: ألم تلاحظ عليه صفات معينة يتميز بها؟

مدير المطعم: نعم، مرونة حركته غير العادية ... نشاطه الزائد ... سخونة انفعالاته. وإذا نظرتَ إلى عينَيه وهو منفعل، تشعر أنك ترى «فهدًا».

أحمد: أو قطًّا بريًّا؟

مدير المطعم في انفعال واضح: نعم ... نعم ... «قطًّا بريًّا». فقد كانت معظمُ وجباته من الصيد الصغير؛ كالأرانب، وطيور السمان. وكنت أُحضرها له خصيصًا ... حيث إننا مطعم وجبات سريعة، ثم توقَّف عن الكلام شاخصًا ببصره في «أحمد» و«عثمان»، وملْءُ عينَيه الدهشة والتساؤل، فنهض الشيطانان ليُغادرَا المطعم ... إلا أن الرجل استوقفهما وهو يقول: آسف ... ما معنى ما قلتاه؟ هل هذا الرجل بشرٌ مثلنا ... أم؟

أحمد: أم ماذا؟

عثمان: موجهًا الكلام لـ «أحمد»: أم من الجان مثلًا؟

أحمد: لا ... ولكنها حكايةٌ طويلة، لم تكتمل فصولُها بعد. وأَعِدُك أن أخبرَك بها.

غادر الشيطانان المطعم ... وبداخلهما علاماتُ استفهامٍ كثيرة. فمَن يكون ذلك الرجل؟ وهل هو بشرٌ عاديٌّ؟ أم نتاج الهندسة الوراثية؟ أم هي فصيلةٌ بشرية عاشَت وسطَ الأدغال بين فصائل القطط البرية فماثلَتها في كل شيء؟

على العموم ... لقد حصلوا على ما يمكن إضافته لملف ذلك القط ...

ومن وسط شرودهما، أخرجهما صوتُ آلة تنبيه تُشبه إلى حدٍّ بعيدٍ بل هي ... صرخةُ قطٍّ بريٍّ. وهنا صاح «عثمان»: «أحمد» ... «القط البري».

أحمد: ولكن أين؟ نحن نسمع صوتًا فقط ... ولا نعرف مصدره.

ومدَّ يده فأغلق جهاز الكاسيت ... وأصاخ السمع ... مترقبًا سماعَ هذا الصوت مرة أخرى لتحديد مصدره. ومرَّت الدقائق ثقيلة، ولم يتكرَّر فأطلق العنان للسيارة. وقد كان المرور بشارع الهرم ميسورًا وعند فندق «ميناهاوس» انحرفت السيارة في اتجاه ميدان الرماية، ثم انحرفَت يمينًا في اتجاه ترعة المنصورية. وقبل أن تبلغها، انحرفَت يسارًا ... لتعبرَ الطريق إلى المقرِّ. وقبل أن يصلَا ... فتحَت البوابة أتوماتيكيًّا، فمرقَت منها السيارة ... وقبل أن تُغلق خلفهما ... سمعَا صوت القط البري عاليًا. فأضاء كشافات السيارة الأمامية ... وانطلق مسرعًا يخرج من الباب الخلفي في اتجاه طريق الإسكندرية الصحراوي؛ فقد سمع صوت اندفاع السيارة إلى هذا الاتجاه، عقب سماعه صوت آلة التنبيه مباشرة، وعندما وصل إلى أول الطريق الصحراوي رأى عن بُعد سيارةً سوداء متجهة إلى الإسكندرية. ولكن لم يستطع تحديد نوعها. وعلى عجل ربط حزام الأمان ... ومثله فعل «عثمان» ثم اعتدل في جلسته متحفِّزًا ... وترك العنان لقدمه، لتضغط على بدال السرعة ... ويقفز مؤشر السرعة إلى مائة وسبعين كيلومترًا وتطير السيارة لتلحق بالقطِّ البريِّ، الذي لم يَعُد له أثر. وتظهر في هذه اللحظة وفي الاتجاه المضاد سيارة مرسيدس سوداء ... لها فوانيس تُشبه عيون القط البري ... وتُطلق آلة تنبيه تُشبه إلى حدٍّ بعيد صوتَ القطِّ البريِّ.

المطاردة!

أصرَّ «أحمد» على ألَّا يفلتَ منه «القطُّ البريُّ» مرة أخرى ... لكنه لم يجد في الرصيف الفاصل بين الاتجاهَين فتحةً يمرُّ منها إلى الاتجاه المضاد، فقرر الصعود على الرصيف ... وعبوره خلف هذا القطِّ ... إلا أنه ما كاد يتوقف حتى مرقَت بجانبه سيارة مرسيدس سوداء، لها نفس مواصفات القطِّ البريِّ ... وبعد أن تجاوزَتهما بمسافة ... أطلقَت نفسَ الصوت الذي أطلقَته السيارة السابقة.

فالتفتَ لـ «عثمان» مندهشًا وهو يقول: هل انتشر هذا الموديل فجأةً يا «عثمان»؟

عثمان: حتى ولو كان هذا انتشارًا لموديل سيارة ... فما بالُك باللون الأسود، وصوت آلة التنبيه، واختيار توقيت إطلاقها؟

أحمد: معك حق ... إذن فهي جماعة منظمة ... ولكن لها نفس المواصفات؟

عثمان: تقصد ... مواصفات القط البري الذي نطارده؟

أحمد: نعم!

عثمان: سيكون شيئًا مذهلًا ... إن كان هذا حقيقيًّا.

أحمد: أما الآن ... فلم يَعُد لنا خيار ... غير استدعاء مجموعة من الشياطين لتغطية المطاردة.

وعندما اتصل بـ «إلهام» في المقر، اقترحَت عليه عقدَ اجتماع عاجل لبحث خطة العمل، فوافق واستدار عائدًا إلى المقرِّ ... وعند دخول سيارته إلى الجراج، سَمِع صوتَ صرخةِ القطِّ البريِّ ... فاستدار مسرعًا إلى «عثمان» الذي رفع يدَيه نافيًا عن نفسه أن يكون هو الذي فعلها ... وقبل أن تذهب أفكارُه بعيدًا سَمِع صوتَ «صفر» يقول له: أليس هذا الصوت الذي يطاردك؟

أحمد: نعم!

صفر: القط البري في انتظارك ... ونحن هنا في انتظارك أنت و«عثمان».

فاندهش كثيرًا لسرعة وصول رقم «صفر»، ولكنه اندهش أكثر لعلمه بالموضوع، رغم أنه لم يُخبره بعد؛ فهو لا يزال في طريقه لإعدادِ ملفٍّ عن العملية.

وفي غرفة الاجتماعات، كان الجميعُ موجودين إلا هما ... وبوصولهما وجلوسهما، أظلمَت القاعة ... وأُضيئَت الشاشة العملاقة ...

وبدأ الاجتماع بترحيب رقم «صفر» بهما ... ثم طلب أن يسمع ما عندهما ... فبدأ «أحمد» يحكي ... ولدهشتِه كان كلُّ ما يحكيه يظهر على الشاشة.

فتوقف عن الكلام ... وسأل رقم «صفر» قائلًا: كيف تم تصويرنا؟

صفر: إن إعدادَ ملفٍّ بلا صورٍ يكون ناقصًا؛ لهذا رأينا أن ندعمَكما بالصور؟

أحمد: ولكن المطاردة الأخيرة لم تُصوَّر؟

صفر: لقد تصورنا أنه بوصولكم إلى المقرِّ انتهى دورنا، ولم نكن نعرف أن جماعة القطط سيستدرجونكم للخروج مرة أخرى ... ولكن في هذه المرة لم يكن خلفكم ... لذا فقد خرجوا جميعًا لاصطيادك أنت بالذات.

أحمد: لأجل الديسك؟

صفر: نعم ... وقد كان قطًّا واحدًا ... وعندما طاردته اختفى، وظهر الآخر ... وعندما همَمْت بمطاردته اختفى، وظهر ثالث في الاتجاهِ المضادِّ.

إلهام: وما الهدف من ظهورهم مرة واحدة بهذه الطريقة.

صفر: يُشتتون انتباهه، ويوحون له بالكثرة. ويدفعونه دفعًا للاستسلام ... ويحصلون منه على ما يريدون.

عثمان: أنا أرى أن الوقت مناسب لتحديد المهمة، وإتمامها ...

صفر: نعم ... وقد اجتمعتُ بكم لأجل ذلك ... فمهمتُنا الآن هي إخراج البقية الباقية منهم، والقبض عليهم مجتمعين.

أحمد: أحياء؟

صفر: قدرَ الإمكان ... إلا في حدود ما تقتضيه الظروف.

أنهى «صفر» الاجتماعَ، وبدأه «أحمد» في غرفة المعلومات ... حيث وصل إليها الشياطين وهم في نقاش ساخن ... عمَّا يجب ويمكن عمله في هذه الظروف ... وتم في نهايته تشكيلُ مجموعة عمل من «إلهام» و«مصباح» و«عثمان» يقودهم «أحمد» و«ريما» تحت قيادة المقرِّ، ويتابع على الكمبيوتر «فهد»!

ولأن المطاردة الأخيرة حدثَت في منطقة المقرِّ، وجب التمويه لإبعادِ نظرِ سربِ القطط عنه.

ورأى «بو عمير» أن يستأجروا شقة فاخرة في إحدى البنايات المحيطة بالمقرِّ، وبالاطلاع على تقرير الكمبيوتر، عرفوا أنه يوجد شقة في عمارة قريبة من ميدان الرماية، لها فترة كبيرة مغلقة ... فقاموا بتأجيرها وأعطَوا بوابها إجازةً وعيَّنوا بدلًا منه «عثمان».

وناموا فيها ليلتَهم. وفي صباح اليوم التالي ... وقبل أن تستيقظ الشمس تمامًا من نومها، كان الشياطين جميعًا قد استيقظوا ... وأول ما فعله «عثمان» هو الاطمئنان على سيارته، وقد صدَقَ حدْسُه ... فقد اكتشف أن هناك مَن عبث بها ... ولكن بمهارة ... بحيث لا يكتشفها إلا خبيرٌ ماهر.

فأخبر «أحمد» عبر جهاز اللاسلكي بما حدث ... فطلب منه تبديلَ أرقام سيارته مع أرقام السيارة ... حيث إنها من نفس اللون والماركة ... فقد كان متأكدًا أن هناك مَن ينتظر نتيجة التحرك بهذه السيارة ... فخرج إلى طريق الإسكندرية الصحراوي، وعند الكيلو عشرة، ظهر سور كبير تتوسطه بوابةٌ حديدية ضخمة مواربة، فلمح من بين ضلفتَيها سيارة سوداء ... وكان قد تخطَّاها بمسافة ... فعاد إلى الخلف بضعة أمتارٍ ... حتى أصبحت رؤية ما خلف البوابة ممكنة، فعرف أنها ذات العيون البريَّة، ولفت نظرَه عدمُ وجود حرس أو خفراء، فترك السيارة بعيدًا عن البوابة ... وبحذرٍ شديدٍ اقترب منها، وأدخل رأسه متلصِّصًا فلم يجد السيارة، فشعر أن هناك مَن يراقبه. فأكمل سيره إلى الداخل، فرأى العديد من الصوبات الزراعية الضخمة ... والتي أدارَت بداخله أجهزة الفضول وحب الاستطلاع ... فاقترب منها على حذر ... ولولا قوة ملاحظته ... لما خرج سالمًا من هذا المكان ... فقد لمح بين الحشائش جسمًا معدنيًّا لامعًا ... مغطًّى تمامًا بأعواد الحطب الجافَّة. فالتقط عودًا منها ليحرِّك به باقي الأعواد، وأوراق الشجر الجافة التي تغطِّيه.

فانكشف له عن قرصٍ معدنيٍّ كبيرٍ، فرفع بصرَه ينظر لهذه الصوبات في تساؤل عما تحويه ... وعن مدى أهميته، إلى الحد الذي يجعلهم يزرعون حولها الألغام! وهل هذا لغمٌ ... أم فخ؟

فهو يعرف أنهم يريدونه حيًّا ... للوصول إلى «الديسك»، فكيف سيستدرجونه ليفتكَ به لغم إذا كان هذا لغمًا؟ ... ولم يَعُد أمامه غير اختباره ليصلَ إلى حقيقته.

وكما ظنَّ ... كان القرص الأبيض لغمًا حديثًا. فقد أثاره مستخدمًا جهاز الاتصال ... فولَّد به ذبذباتٍ عاليةَ التردد ... فخرجَت من القرص شعاعاتُ برقٍ تتقاطع فيحترق ما فوقها من أعواد وأوراق جافة.

وتصوَّر نفسه واقفًا فوقه، وقد سرَت في جسده هذه الصاعقةُ الكهربائية، وهو لا يستطيع التخلص منها ... وعرف أنه جهازٌ مزدوج يُستخدم كلغمٍ وكفخٍّ، وحسب طول المدة التي يتعرض لها الواقف فوقه ... ولولا صوتُ القطِّ البريِّ ... ما ترك هذا اللغم الحديث ... إلا وقد دمَّره.

إلا أنه جرى خارجًا من المزرعة باحثًا عن مصدره، فوجد سيارة مرسيدس سوداء، تخرج من بابٍ بآخر سور المزرعة الواقف أمامها. فأخذَته المفاجأة وجرى إلى سيارته وهمَّ بركوبها لمطاردة السيارة ... إلا أنه توقَّف في آخر لحظة منتبهًا إلى أنه كمينٌ. فهناك مَن يحاول إبعاده عن المكان في هذا الوقت بالذات ... فترك السيارةَ عائدًا إلى المزرعة، فوجد الصوبة المواجهة للبوابة وقد اختفَت! فنظر إلى السماء في تساؤل وحيرة، فها هم القطط يلعبون معه لعبةَ القطِّ والفأر، وقد جعلوه هو القط ... رغم أنهم قططٌ بريَّة!

وها هي صيحةُ القطِّ ... لم تكن إلا خدعة للفتِ نظرِه بعيدًا عن نقل هذه الصوبة، ولكن ترى أين ذهبت؟ والوقت الذي قطعه من المزرعة إلى الصوبة ذهابًا وعودة لم يكن طويلًا! ولم يَعُد أمامه غير الاتصال بـ «فهد» ليلحق به ... فالمهمة الآن تحتاج لوجود أكثر من فرد.

وفي انتظار حضور «فهد» انشغل هو في إبعاد سيارته تمامًا عن المكان ... وعاد راكبًا سيارةَ نقل فاكهة، دون معرفة سائقها ... وعند الاقتراب من بوابة المزرعة همَّ بالقفز لولا أنه وجدها تتجه إليها فتعبرها فظلَّ مختفيًا بين صناديق الفاكهة الفارغة ... وقد لفت نظرَه أن الباب كان مغلقًا ... وقد ظل السائق ينادي على مَن يفتح له، قرابة عشر دقائق. و«أحمد» يتابع الموقف من بين الصناديق ... فلمح «فهد» يأتي عن بُعدٍ، فوق دراجة نارية ضخمة يرتدي خوذة سوداء ... ذات عيون تُشبه عينَي القطِّ البريِّ ... فراسله عبر ساعة يده ... لكنه رآه يعبر السيارة والبوابة والسور ... منطلقًا بلا توقف، فتوقف عن متابعته، عندما سَمِع صوتَ سلاسل حديدية ثقيلة تتخبط في الباب المعدني، ورأى الباب ينفتح مواربًا ... وتحرَّكَت السيارة تدخل في هدوءٍ وعلَا صوتُ السائق بالتحية ... فردَّت عليه أصواتٌ، لم يكن أصحابُها موجودين عندما كان بها منذ ساعة ... فمن أين أتى كلُّ هؤلاء؟ هل كانوا موجودين حين دخل في المرة الأولى؟ هنا غمغم قائلًا: نعم ... نعم ... كانوا موجودين ولكن في مكان ما لا أعرفه.

وسَمِع وقتَها مَن يقول للسائق: ألن تفرغ السيارة؟

السائق: نعم.

الرجل: ماذا بها؟

السائق: عبوات فارغة.

سمع «أحمد» هذا الحوار فأسرع بالبحث عن مكان يختبئ فيه، فرأى في أرضية صندوق السيارة مربعًا من «الصلب»، يوحي بأنه غطاءٌ لخزانةِ معداتٍ خاصةٍ بالسيارة ... أو باب لتصريف مياه غسيل لسطحها، فحاول فتْحَه، فاستجاب له بسهولة ... ومنه قفز ليختبئ تحت السيارة ... إلا أنه فوجئ بالأرض تبتلعه ... ووجد نفسَه ينزلق في طريقٍ ملتوٍ ... فتحسَّس طريقَه بعد أن استقام واقفًا، حتى وجد نفسَه يصعد مرة أخرى، ولكن على درجاتٍ ممهدةٍ إلى طاقةِ ضوءٍ كضوء القمر حين يكون مكتملًا. وحين بلغها، وجد نفسَه يقف بداخل صوبة زراعية تحوي أشجارًا غريبة الشكل، فعرف أن السرداب الذي أتى به إلى هنا هو طريقٌ سريٌّ كان يَصِل بين هذه الصوبة، والصوبة التي اختفَت، والتي كانت صوبةً هيكلية، ليس لها دور، غير الاستعداد للدخول إلى هذه الصوبة، والتمويه على باب الدخول. ومن بين الأفكار التي يستغرق فيها والأشجار التي تملأ الصوبة خرج أحدُ القطط البرية يرتدي نفسَ النظارة السوداء ... وبذلةً من المطاط سوداء، ملتصقة بجسدٍ نحيل رشيق ... ممشوق مرسوم العضلات ... إنه جسدُ رجلٍ له صفاتُ قطٍّ!

ولم يعطِ «أحمد» فرصةً لتأملَه ... فقد لفَّ حول نفسه متتابعًا بقدمَيه، فأصبح في لحظات في مواجهة «أحمد» الذي بغتَته سرعةُ حركته، فلم يستطع تفادي ضربة قدمه ... والتي أوجعَت بطنه كثيرًا ... ولم يتركه لينهضَ من انحنائه، بل لَحِقَه بضربةٍ أخرى من قدمه في رأسه، فارتطم نائمًا بأرض الصوبة، وحين قفز عليه للمرة الثانية، لفَّ «أحمد» قدمَيه كالمقصِّ على رقبته، وضغط بشدة فصرخ صرخةً مكتومة، ورفع يدَيه مستسلمًا، فدار به حتى أصبح فوقه، فلفَّ ذراعه حول رقبته، وباليد الأخرى حاول نزْعَ نظارته ... إلا أنه نشب أسنانه في يده فضغط على رقبته بشدة فانسلتَ منه بمهارة شديدة ... وكما ظهر، اختفى.

انهمر الدم بغزارة من ذراع «أحمد» فمزَّق قميصه، وربط بشريط منه ذراعَه حتى انقطع الدم ... وأسرع بالخروج عبر نفس السرداب الذي أحضره إلى الصوبة، فوجد السيارة النقل ما زالَت واقفةً. ولكن محرِّكها يدور استعدادًا للتحرك ... فتعلَّق بها من الأسفل رغم الآلام المبرحة في ذراعه ... ولحسنِ حظِّه لم تتوقف كثيرًا ... وخرجَت إلى الطريق الصحراوي، في اتجاه الإسكندرية فظل مُعلَّقًا بها حتى اقترب من المكان الذي خبَّأ فيه سيارته ... وفكر بسرعة في طريقة للقفز من السيارة وهي سائرة ... فلم يجد؛ فقد

كان متعلِّقًا بين أربعِ عجلاتٍ ... والقفز من هذا الوضع يعني الموت ... فأسعفه تفكيرُه بأن يطعنَ بسلاحه الأبيض أقرب عجلات السيارة إليه ... وشعر السائق بأن السيارة قد فقدَت اتزانها فتوقف على جانب الطريق، وكانت هذه هي الفرصة المناسبة لـ «أحمد»، الذي خرج من تحت السيارة إلى الطريق، باحثًا عن المكان الذي ترك فيه سيارته ... لكنه لم يجدها ووجد نفسَه في مأزق ... فأين ذهبَت هذه السيارة الملعونة؟ ... هل سُرقَت؟ ومَن الذي سرقها؟ هل هو لصُّ سيارات محترف ... وأين في الصحراء؟ الاحتمال الأرجح أن يكون أحدَ القطط ... لأنه لو كان لصًّا لسرق هذه الدراجة البخارية الفاخرة الواقفة مكانها (كان أحمد يحدِّث نفسه) ولفت نظرَه وقتَها حين أمعن النظر فيها ... بأنها من دراجات «المنظمة»، فعرف أن مَن تركها له هو الذي أخذ السيارة ... وقد يكون «مصباح» وهناك سببٌ قويٌّ هو الذي دعاه لذلك ... وكان هناك كلب يرقب «أحمد» وهو يحادث نفسه عن قرب، فنظر إليه مبتسمًا، ثم قال: ما رأيك ... فلنجربها ...؟ هزَّ الكلب ذيله وكأن الفكرة أعجبَته، فعقَّب قائلًا وهو يركب الدراجة ... يا لَه من كلبٍ ذكيٍّ ... ولكن هل ترى أنه ليس لديَّ مفتاحٌ لها؟ على العموم ليس مهمًّا فهي مزودة بالقفل البصمة ... وعلى مربع صغير بجوار مفتاح الإدارة وضعَ سبَّابتَه ... فدارَت الدراجة وأضيئَت مصابيحها ... فنبح الكلبُ مسرورًا لنجاح «أحمد» الذي ابتسم له قائلًا: أتعرف إلى أين أنا ذاهب؟ لمطاردة قطط.

قال هذا وانطلق بالدراجة ... تاركًا الكلبَ مذهولًا ... فقد اختفَت الدراجة و«أحمد» عن عينيه في لحظات ... وأول ما فعله هو الاتصال بالمقرِّ، ليطلبَ منهم معلوماتٍ عن هذه المزرعة ... دار بالدراجة حولها أكثر من مرة ليجمع عنها أكبرَ قدرٍ ممكنٍ من المعلومات ... ولكنه لم يشاهد شيئًا غيرَ عاديٍّ ... وعلى فاكس الدراجة ... أتاه ردُّ المقرِّ يُخبره بأن المزرعة مملوكة لأحد المستثمرين المصريين. وفي الفترة الأخيرة عرضها للإيجار ... وقد استأجرها مستثمرٌ أجنبيٌّ ... عن طريق وكيل له في «مصر»؛ حيث إنه لم يحضر حتى الآن ... وكان هذا المستثمر يعدُّ فيها بعض المزارع التجريبية ... مستفيدًا من مناخ «مصر» المعقول. وبالرجوع إلى الوكيل ... عرفنا أنه لن يحضر قريبًا ... لأنه مشغول بالانتهاء من إنشاء مصنعين في إحدى الدول النامية ... وأنه يُرسل بين الحين والآخر أحدَ الخبراء للاستفادة به في إعداد المزرعة إلى أن يأتيَ.

وبسؤاله عن مجموعة «القطط البرية» لم يجد عنده إجابة غير الدهشة.

انتهى التقرير ... فطلب معرفة مكان «إلهام» وكيفية الاتصال بها ... فعرف أنها في طريقها إلى المقرِّ السريِّ الكبير هي و«ريما» على دراجاتهما النارية ... وقد لحق بهما «عثمان» و«فهد» في سيارة شيروكي ... وعليه الاتصال بهما للأهمية.

وعندما سأل عن جماعة القطط ... عرف أنهم يطاردون الدرَّاجتَين ... وتُراقبهما السيارة الشيروكي ... فابتسم وهو يقول لنفسه: لقد وضعوا القطط في سندويتش مرة أخرى.

شريحة الأسرار!

عند الكيلو مائة وعشرين ... استوقف الرادار دراجةَ «أحمد»، فنظر لهم مندهشًا وهو يقول: ماذا؟ هل تخطيتُ السرعة المسموح بها؟!

الضابط: تخطيتَ ماذا؟! لقد كنتَ تسير بسرعة ثلاثمائة كيلومتر في الساعة.

لم يصدِّق «أحمد» نفسه، إنه رقمٌ مخيف بالنسبة لدراجة أو حتى سيارة. فدفع المخالفة وهو يعتذر ... وتركهم غيرَ مصدقٍ نفسَه ... فهذه الدراجة الخطيرة، هي التي تعطي لراكبها الدافعَ لأن يسير بهذه السرعة ورغم أنه من أكثر الشياطين احترافًا لقيادتها ... إلا أن هذه السرعة غير مطلوبة إلا في مواقف معينة ... ولكنْ هؤلاء القطط الماكرون، استحوذوا على تفكيره، فلم يشعر إلا وهو يدفع المخالفة.

وكانت «إلهام» و«ريما» تسيران بسرعة قريبة من السرعة التي دفع «أحمد» عنها المخالفة ... ولكن على طريق الكورنيش بين «الإسكندرية» و«مرسى مطروح» ... عندما تلقَّت اتصالًا من «أحمد» يُخبرهما أنه سيتوجه إلى فندق «شيراتون المنتزه»، لمقابلةِ خبيرِ الزراعة السويدي ... الذي يُجري أبحاثَه في المزرعة، عند الكيلو عشرة هذه الأيام ... وحكى لـ «إلهام» ما حدث بإيجاز ... وأطلعَته على الموقف بينهم وبين القطط.

وكان قد وصل إلى «الإسكندرية» فاتجه مباشرة إلى المنتزه، فترك سيارتَه في جراج الفندق، وتوجَّه إلى مكتب الاستعلامات، فسأل عن السيد «فولف»، فعرف أنه يتناول عشاءَه بمفرده بمطعم الفندق ... فتوجَّه إلى المطعم، واختار مائدة قريبة من الباب، وطلب من الجرسون أن يُشيرَ له خلسةً على مستر «فولف»، ثم طلب منه عشاءَه ومنحَه بقشيشًا سخيًّا.

وجلس يتأمل بحذرٍ هذا الخبير السويدي، ويسأل نفسه ... هل هو خبيرٌ حقًّا، أم رأس الجماعة والعقل المحرِّك لها؟ ثم انبرى يؤكِّد لنفسه هذا الاستنتاج مغمغمًا ... نعم ...

نعم ... وهو يُقيم بالإسكندرية كمنطقةِ وسطٍ بين «القاهرة» وبين الصحراء الغربية حيث المقرُّ السريُّ ... ثم عاد لينفيَ هذا مغمغمًا أيضًا: لا ... لا ... فلا أحدَ يعرف مكانَ المقرِّ الكبير، ولا بنيَّةِ المنظمة في التخلص من القطط، أو لَمَا استدرجوهم إلى هناك ... وفي هذه اللحظة، شعر أنه غيرُ راضٍ عن فكرة التخلص من هؤلاء الرجال القطط، بل يجب الإبقاء عليهم، للكشف عن كثيرٍ من الأسرار، فقرر بينه وبين نفسه أن يتصل بـ «إلهام» ويُخبرها بهذا الاقتراح، لتعرضَه على إدارة المنظمة في المقر إن لم تجد «صفر» ... وعاد للنظر إلى الرجل مرة أخرى ... وهو يؤكد لنفسه أنه سويديٌّ بحقٍّ، فهذا الوجه شديد الحمرة يدلُّ على ذلك، رغم أنه مبالغٌ بعضَ الشيء في لونه، فضحك في نفسه قائلًا: يبدو أنه نتاج الهندسة الوراثية.

ثم تخيَّل نفسَه وهو يُقبِّله، ثم ينظر في المرآة، فيجد على وجهه بُقَعًا حمراء. وخطر له لحظتَها أن يكون هذا مفتاح حديثه معه، فأنهى طعامَه مسرعًا، وكان الرجل يكاد ينتهي من طعامه أيضًا، فحيَّاه بالإنجليزية ... فردَّ عليه الرجل مبتسمًا ... مما شجعه على الاستمرار في الحديث ... فقال له: ما سرُّ احمرارِ وجهك إلى هذا الحد، أهو خجلٌ مزمنٌ، فضحك «فولف» حتى كاد الدم يخرج من جلد وجهه ... فسأله: ما اسمك؟ فعرفه باسمه وتعرَّف عليه ... فقال له: بيني وبينك حديثٌ.

فولف: هل تعرفني؟

أحمد: نعم ... ذو الوجه الأحمر.

ضحك الرجل ثانية ثم قال: ليست مسألةَ هندسة وراثية ... ولكنها طبيعة شعب ومناخ ... ولكن ما أدراك بالهندسة الوراثية ... هل أنت دارس لها؟

أحمد: ليس بالضرورة ... إنها ثقافة عامة.

فولف: عندك حقٌّ ... من المهم أن يعرف الإنسان ما يدور حوله ... ولكن هل تعرف أنها تخصصي.

أحمد: مصطنعًا الدهشة ... حقًّا؟ ... إذن يمكنني أن أستفيد منك كثيرًا ... رغم أنني أعرف أنه سيكون حديثًا مملًّا بالنسبة لك.

فولف: لماذا؟!

أحمد: محاولًا استدراجَه: لأنك ليل نهار لا تُفارق معملك ... وأنت الآن في فترة راحة ... أليس كذلك؟

فولف: وكيف عرفت؟!

أحمد: هذا هو الوضع الطبيعي للعلماء.

فولف: نعم ... نعم ... بالذات إذا كنت تحبُّ ما تعمل، ويزيد هذا إذا شعرت أنك قريبٌ من تحقيق إنجازٍ ما.

أحمد: الإنجاز حافزٌ دائمٌ يدفعك للعمل.

فولف: هذا حقيقيٌّ ... فكلما وصلت إلى إنجاز ... شعرت بالعطش لتحقيق إنجازٍ آخر.

أحمد: وما آخر إنجازاتك؟

فولف: الإنجازات تظل سرًّا، حتى تتمَّ وتأخذ طريقَها القانونيَّ للتسجيل كبراءات الاختراع.

فسأله «أحمد» بصورة مباشرة قائلًا: مستر «فولف»، هل يمكن أن يحمل حيوانٌ صفاتٍ بشريةً؟

فولف: حدث في المعمل؛ فقد قام العلماء بحقنِ فأرٍ بجينات بشرية ... فاكتسب تركيبُه البيولوجيُّ بعضَ هذه الصفات ... ولكنها بشكلٍ محدودٍ.

أحمد: وهل يمكن لإنسان أن يحمل صفاتِ حيوانٍ ما؟ أي هل يمكن إحداث ذلك في المعمل؟!

حاول «فولف» أن يراوغَ في الإجابة لحظاتٍ، ثم أجاب في ثبات مصطنع قائلًا: حتى الآن لا ... ولكن لا أحدَ يعلم ماذا سيحدث غدًا.

شعر «أحمد» أنه وصل إلى النتيجة المطلوبة ... فـ «فولف» مرسلٌ من قِبَل المستثمر الذي أجَّر المزرعة من صاحبِها المصريِّ ... وصاحبُها لا يعلم ماذا يجري فيها ... والقبض على مجموعة القطط مجتمعة وعلى «فولف» سيُكلل هذه العملية بالنجاح ... ولكن لن يكتملَ هذا النجاح إلا بمعرفة نوع النشاط الذي يمارسونه في المزرعة ... أم هي فقط قاعدة انطلاق لهم وأن مهمتَهم الرئيسية هي الحصول على الديسك.

وفي هذه اللحظة حضر موظفٌ من الفندق وحادث «فولف» في أُذُنِه همسًا ... فنهض «أحمد» لينصرف، فقال له «فولف»: إلى أين مستر «أحمد»: لم نُكمل كلامنا بعد.

أحمد: إني أراك مشغولًا ...

فولف: لا شيءَ يهمُّ، إنه سائق السيارة ... يريد الانصراف مبكرًا.

أحمد: دَعْه ينصرف؛ فأنا أعرف الإسكندرية جيدًا.

فولف: بالطبع مستر «أحمد» فهي بلدك.

ثم طلب من الموظف أن يسمح له بالانصرف على أن يحضر منه المفاتيح، وهنا طرأت لـ «أحمد» فكرة، أن يخرجَا سويًّا ليقطعَا شارع الكورنيش في هذا الجوِّ المنعش، وفي هذه الساعة الرائعة من الليل، وبهذا سيقترب من «فولف» أكثر، فيطمئنُّ له، وربما باح له بشيء مما يريد الحصول عليه، إن لم يحدث، فقد يحصل عليه بنفسه.

راقَت الفكرةُ كثيرًا لـ «فولف»، فخرجَا سويًّا، يلفُّهما الصمتُ؛ فسحْرُ «الإسكندرية» في المساء لا يُقاوم ... وتطايرُ رذاذ الماء في الهواء من فعلِ اصطدامِ الموج بالشاطئ، ثم سقوطه على زجاج السيارة الأمامي، ودخوله من الزجاج الجانبي المفتوح، ليداعبَ بشرتهما ... جعلَتهما يبتسمان طربًا.

وهنا سأله «أحمد»: أرأيت أجمل من الإسكندرية مدنًا ساحلية؟

فولف: بصراحة شديدة ... لا ... لم أجد!

ولكن مستر «أحمد» الأهم من المكان هو الإنسان.

والإنسان المصري ذو قلب يسَعُ كلَّ العالم، إنه إنسانٌ حضاريٌّ بكل معنى الكلمة.

أحمد: وهل هذا يميزه عن شعوب أخرى؟

فولف: طبعًا، وكنت أحبُّ أن أجدَ هذه الصفة في المجتمع الغربي.

أحمد: ألَا يمكن إكساب هذه الصفة لهؤلاء الناس بالعلم؟

سرح مستر «فولف» بخياله بعيدًا ... ثم قال له: لا أعرف مستر «أحمد» ... ولكن يجب أن يكون لكل شعبٍ ما يميزه ... مستر «أحمد» ... تأكَّد «أحمد» أن «فولف» قد راح في سُباتٍ عميقٍ، فأغلق عليه زجاج السيارة، وحصل من جيبه على مفتاح غرفته. واستدار عائدًا إلى الفندق، وقبل أن يبلغه أوقف السيارة، وتركها ذاهبًا إلى الفندق، وسأل عن مستر «فولف» ثم صَعِد إلى غرفته، وفتَّشها تفتيشًا دقيقًا، وهبط دون أن يحصل على شيءٍ مهمٍّ، غير شريحة كربونية، وهي التي شعر أنها قد تكون مفيدةً له ... وعاد إلى السيارة وكما جعله ينام بإطلاق الغاز المنوم ... أيقظه بوضعِ قطبٍ كهربيٍّ يُعطي ترددات ضعيفةً على يده ... وبعد أن وضع المفتاح في جيبه.

ورغم أن «فولف» لم يُبدِ أيَّ امتعاض لما حدث له، إلا أن «أحمد» شعر بعدم الارتياح لنظراته، فأوصله إلى الفندق وعرض عليه أن يصعد معه إلى غرفته، فشكره.

وعاد إلى دراجته النارية حاملًا الشريحة الكربونية، وهو يأمل أن يجد عليها ما يحلُّ لغزَ هذه العملية. ولم ينظر في عدَّاد السرعة، بل أطلق للدرَّاجة العنان فطارَت، وكانت عجلاتُها لا تلمس الأرض ... في طريق العودة إلى المقرِّ الفرعيِّ في «الهرم»، وفي طريق

العودة اتصل بخبراء المعمل، وطلب منهم التوجه للأهمية ... واتصل بـ «إلهام» ليُخبرَها بأنه لن يحضرَ إلا باكرًا بالطائرة، واتصل بأمنِ المقرِّ يُخبرهم بحضوره.

وفي تمام الساعة الثالثة صباحًا، وصل إلى ميدان الرماية، ومنه إلى باب المقرِّ ثم إلى الجراج عبرَ الممرِّ السريِّ، ثم غادره إلى المعمل فوجد أكثرَ من خبير في انتظاره، فأعطاهم الشريحة ... وطلب معرفةَ ما تحوي ... وتركهم مغادرًا المعملَ ليحصلَ على دشٍّ دافئٍ، وطلب منهم إيقاظَه عند الوصول إلى شيءٍ؛ حيث إنه في حاجة ماسَّة ولو لقليل من النوم.

وفي السادسة صباحًا ... استيقظ كعادته نشطًا ... وغادر السرير جريًا إلى المعمل يسألهم في لهفة عمَّا وصلوا إليه من معلومات ... فعرَف أنها شريحةٌ مبرمجة، تحوي أوامرَ خاصةً بآلة معينة ... ويبدو أنها نتاجُ تزاوج بين الماكينة، والحيوان.

فقال «أحمد» الأنبوب العملاق ... لقد كان يحوي نتاجَ هذا التزاوج، ولكن هل يمكن أن تخصَّ ذلك الرجل القط؟

الخبراء: لا ... لا ... إنه موضوع مختلف تمامًا ...

أحمد: إذن الديسك يحوي معلوماتٍ عن هذا الكائن وعن شفرة تشغيله.

ولكن ماذا عن هؤلاء القطط؟

لقد عرفتُ من التقرير الذي تلقَّيتُه بالأمس ... أنه يحوي معلوماتٍ عنهم أيضًا.

فردَّ كبيرُ الخبراء قائلًا: من الممكن أن يكون الموضوع واحدًا، يبدأ بالقطط ... ويصل إلى «الحيوان الآلة» أو «الآلة الحيوان».

المهم في الموضوع ... ألَّا يكون الشريطُ مؤمنًا.

أحمد: تقصد أن به برنامجًا تدميريًّا لأجهزة الكمبيوتر، إذا استخدمه أحدٌ غيري ... لذا فنحن نحتاج أحدَ القطط حيًّا.

كبير الخبراء: أو مستر «فولف».

غادر «أحمد» المعمل وهو يفكر في حلٍّ سريعٍ للموقف؛ «فالقطط» في «مصر» من أجل الديسك، وكذلك «فولف»، فكيف سيحصل من أيٍّ منهم على مفتاح تشغيله، وهنا تذكَّر أسلوبَ الخطة، ولحظة البداية.

أما عن الخطة البديلة، فهي القبض عليهم وإرغامهم على تشغيل البرنامج، رغم ما في ذلك من خطورة، أما الخطة الرئيسية ... فهي كسبُ ثقةِ مستر «فولف» بطريقةٍ ما، إلى أن يحكيَ عن موضوع سرقة الديسك.

وكأنما القدر يفكِّر مع «أحمد»؛ فقد اتصل «فولف» فأخبره بأنه منزعجٌ للغاية من ضياعِ شيءٍ مهمٍّ له جدًّا ... فسأله «أحمد» إن كان قد أبلغ أمنَ الفندق، فأخبره بأنه لا

يستطيع، فما ضاع منه شيءٌ صغير، ولن يعرف قيمتَه غيرُه ... فطلب منه أن يهدأ، وسوف يحضر إليه حالًا.

كان مستر «فولف» يبدو عليه الانزعاج، وهو يستبعد سرقتَه، فسأله إن كان يستطيع أن يبحث معه بين أمتعتِه فأجابه بانفعالٍ قائلًا: نعم ... نعم ... ولك مني كلُّ الشكر.

فاستغرق في تفتيش أمتعة الرجل، فلم يجد فيها ما يُفيده في المهمة، فالتفت إليه يسأله: ما جزائي إن وجدتُ لك ما تبحث عنه؟

فنظر إليه «فولف» غيرَ مصدق وهو يقول: لكَ ما تطلب مستر «أحمد»!

فمدَّ يدَه إليه بالشريحة وهو يراقب السعادة التي ارتسمَت على وجهه، وصيحته المجنونة: شكرًا «أحمد» ... شكرًا «أحمد».

فضحك «أحمد» سعيدًا لسعادته، ولأنه اكتسب ثقته ... فقد كان في رأسه الكثير بالنسبة له.

وفي مساء نفس اليوم كان ميعادهما المعتاد ... على كورنيش «الإسكندرية» وقد أصبح «فولف» أكثر ظُرفًا وقُربًا من «أحمد».

وفي غمرة حديث طويل بينهما قال له الرجل: أتعرف يا «أحمد» هناك شيء آخر ضاع مني ... إذا ساعدتني في الحصول عليه سأُعطيك نصف مليون دولار.

فنظر إليه «أحمد» غيرَ مصدق، وأعاد عليه الكلام مرة أخرى قائلًا: نصف مليون دولار؟ لماذا ... هل هو شيء ثمين إلى هذا الحد؟

فولف: على العكس ... إنه شيء رخيص جدًّا ... ولكنه يحوي أشياءَ هامةً جدًّا لي.

أحمد: هل هو لغز؟

فولف: لا ... إنه ديسك ... يحوي معلوماتٍ هامةً جدًّا ...

أحمد: معلومات عسكرية؟

فولف: لا تفهمني خطأ ... أنا أعمل في مجال الهندسة الوراثية ... وليس لي علاقة بالحروب.

أحمد: أنا أعرف أن الهندسة الوراثية تصنع الآن أكثر الأسلحة فتكًا.

فولف: تقصد الأسلحة البيولوجية؟

أحمد: على كلِّ حالٍ ... أنت لن تصرِّح لي بما في الديسك، وأنا لا أريد غير «النصف مليون دولار». ضحك «فولف» سعيدًا وهو يظنُّ أنه استطاع أن يجنِدَه للعمل معه.

في نفس الوقت في الصحراء الغربية، كانت جماعة «القطط» قد اختطفوا «ريما» ... وطلبوا مبادلتها بالديسك.

وكانت إلهام تحاول الاتصال بـ «أحمد» لتُخبرَه بما حدث ... ولكنَّ حادثًا وقع لهم فوق أحد التلال الصخرية عطَّل عملَ كلِّ مولدات التيار من بطاريات وخلافه ... ولولا قدراتهم الخاصة جدًّا ... لاستطاعَت «جماعة القطط» القبضَ على «إلهام» أيضًا.

وكان «أحمد» يحاول الاتصال بهم، لإبلاغهم بما تمَّ التوصل إليه، ولعقدِ اجتماعٍ لاسلكيٍّ عاجل ... إلا أنه لم يتلقَّ ردًّا إلا من «عثمان»، وعرَف أن عطلًا ما أصاب السيارة وقام بإصلاحه هو و«فهد» في الوقت الذي أكملَت فيه «إلهام» و«ريما» السيرَ ومن خلفهما القطط. وعند الاتصال بهما لم تُجيباه.

فشعر أن في الأمر خطورة، وأن عليه التوجُّه إلى الصحراء الغربية لتحديد ما يمكن عمله، وخطَر له أن يطلب من «فولف» إيقافَ هذه المطاردات وسيُحضر هو له الديسك، لكنه تراجع عن ذلك؛ لأن هذا المطلب سيكشفه. فعاد إلى «فولف» وطلب منه إن كان يعمل معه، أن يخبرَه بأن هناك مَن سيعاونهم في البحث عن الديسك، ومن على ظهر دراجته البخارية، اتصل برقم «صفر» وأخبره بما حدث، فاقترح «صفر» أن يُرسل طائرة هيلوكبتر للبحث عنهم ... إلا أن «أحمد» رفض هذه الفكرة لأنها ستعوق عملَه في خداع «فولف» والقطط، وقرَّر مواجهتَهم بنفسه.

الضربة الكبرى!

في محطة البنزين، جهَّز دراجته تمامًا للرحلة، وحمل معه زجاجاتِ ماء إضافية، ومتطلبات إسعافات أولية ... تحسُّبًا للظروف.

ثم أعطى الدراجةَ حريتَها ... فطارَت فوق الأرض وهو مِن فوقها ... يميل يمينًا وشمالًا ... ورغم ضخامة حجمها، وثِقَل وزنِها، فقد أصبحت لسرعتها كقارب صغير فوق سطح المحيط، وعلى تابلوه السيارة، رأى ضوءًا أحمرَ متقطعًا يصدر عن جهاز الاتصال ... فحوَّله إلى الخوذة، ودار حديثٌ طويل بين «فهد» و«أحمد» عرف منه أنهم توصلوا لمكان «إلهام» وأن «ريما» مختطفة ... وهي مع «القطط» في أحد الكهوف ... وهم يطلبون تسليم الديسك ... مقابل إطلاق سراحها ... فسأله عن «إلهام» و«عثمان»، فأخبره أنهما يحومان حول الكهف ... فسأله «أحمد» إن كان قد رأى القطط؟

فهد: نعم ...

أحمد: هل ما زالوا يرتدون النظارات السوداء؟

فهد: نعم.

أحمد: إذن، فنقطة ضعفهم هي الضوء الشديد.

فهد: ماذا تقصد؟

أحمد: إذ أردتم القبضَ عليهم فسلِّطوا عليهم ضوءًا شديدًا ولكن عليكم أولًا أن تُفقدوهم نظاراتهم السواء، عندما سيختلُّ توازنهم سيكون من اليسير التعامل معهم.

فهد: المهم الوصول إلى نظاراتهم.

أحمد: هذه مهمتكم ... فأنا لن أشتبكَ معهم، بل سأطاردكم أنتم.

«فهد» مندهشًا: ... تُطاردنا؟!

أحمد: نعم ... هذه هي خطتنا ... وعليك إبلاغهم ليستعدوا لها.

لم تكن عودة «إلهام» و«عثمان» إلى السيارة الشيروكي هروبًا من مطاردة القطط. ولكن تنفيذًا لما طلب «فهد»، لعقد اجتماع عاجل، وعندما عرض عليهم ما قاله «أحمد» تحمَّس «عثمان» للفكرة جدًّا، ولكن تبقى خطوة مهمة. وهي كيف سيدفعونهم لخلع النظارات؟

قالت «إلهام»: إن ما نعرفه عنهم، أنهم كثيرو الحركة ليلًا ... أليس كذلك؟

فهد: نعم.

عثمان: تقصدين أن نهاجم ليلًا ... وهم بدون نظارات؟

إلهام: نعم.

راقَت فكرةُ الهجوم ليلًا لكلٍّ من «عثمان» و«فهد»، فقامَا يُعدَّان العدَّة لقطعِ جميعِ الطرق على القطط. ورفع «عثمان» الهوائيَّ الخاصَّ بجهاز إرسال الذبذبات، حتى إذا ما حضر «أحمد» استطاع الوصول إليهم بسهولة، بتتبُّع هذه الذبذبات عن طريق أجهزة خاصة مزوَّدة بها دراجته.

ثم قاموا بشحن بطاريات الدراجات النارية مستخدمين في ذلك أجهزةً متطورة للغاية ... وقضَوا النهار يُجهِّزون أنفسَهم للمواجهة والمطاردة الكبرى.

وقبل اختفاءِ آخرِ شعاعِ ضوءٍ في الأفق، تحرَّك الشياطين يدفعون دراجاتهم، دون إدارة محركاتها، حتى لا ينتبهَ القطط لهم.

ولأن الطريق الممهد الوحيد المؤدي للكف ينتهي عند فتحتِه الوحيدة، مما يعني أنه مراقب جيدًا من القطط؛ فقد اتخذ الشياطين طريقًا دائريًّا حول الكهف ... تكثر فيه العثرات، والمرتفعات والمنخفضات ... مما أرهقهم واستغرق منهم قطعُه وقتًا طويلًا.

ولم يقف الأمر عند ذلك ... بل زاد إرهاقَهم وتوتُّرَهم قطيعٌ من ذئاب الجبل الجائعة ... تعوي وهي تجري في طريقها إليهم. ولم يكن في مقدورهم استخدامُ أسلحتهم، حتى لا يُثيروا انتباهَ القطط.

وكان التأخُّر في اتخاذ القرار في غير صالحهم؛ لأن الذئاب لا تفكر، والذئاب الجائعة لا تتردد في الهجوم، ولم يكن هناك حلٌّ، غير كُرة «عثمان» الجهنمية؛ فقد ظلَّ يرفعها في الهواء ويلتقطها ثانية، وهو يراقبها بعينه. وبالأخرى كان يراقب تقدُّم قائد قطيع الذئاب، ومن خلفه جيشٌ من الجياع. مما أوحى له بأن ضرْبَ القائد يُصيب بقيةَ القطيع بالفزع فيفرون إلا أن الذئابَ كلَّها كان لها رأي آخر.

فعندما اقتربوا منهم، والتفوا حولهم في دائرة، غيَّروا لـ «عثمان» كلَّ حساباته، إلا أنه أصرَّ على الإسراع في تنفيذ الخطة، وأطلق كرتَه الجهنمية ... صاروخًا، تُصدر سرعةُ

حركته صفيرًا. لم ينقطع إلا عندما علَا صوتُ ارتطامها برأس قائد القطيع، مصحوبًا بصوت فرقعة تُكسر عظامَ جمجمته ... أعقبه عواءٌ واهن منه، وصراخُ مَن معه. وما كاد «عثمان» يلوِّح بقبضته لهم، وكان بها كرة ثانية، حتى فروا جميعًا، تاركين جثةَ قائدهم ... فاستأنف الشياطين سيرَهم ... حتى ساروا خلف الكهف تمامًا، فتبادلوا النظرات، ثم توسطَتهم «إلهام» راكبةً دراجتها، وبجوارها «عثمان» عن يمينها ... وعن يسارها «فهد».

وحين رفعَت يدَها، أداروا جميعًا الدراجات، وحين أنزلَتها انطلق كلٌّ من «فهد» و«عثمان» من على جانبَي الكهف، وهي تقف راكبةً الدراجة في وضعِ استعدادٍ من أعلى سقفه.

وفي ثوانٍ معدوداتٍ كانت الدراجتان تقفان أمام فتحة الكهف ... تستعدَّان لدخوله، حين سمعَا صوتَ طلقاتِ الرصاص تُحيط بهما ... فقامَا بإنارة الكشافات ... التي أحالَت ليلَ الكهف نهارًا ... وجعلَت رجالَ عصابة القطط يغطُّون عيونهم، فانطلق الشيطانان كطلقات مدفع ... يعبران فتحةَ الكهف، ويدوران حول «القطط»، ويسألونهم عن «ريما» التي لم تكن موجودةً أمامهم ... والقطط يجرون أمامهم، يحاولون إخفاءَ عيونهم ... إلى أن أصابهم الإجهادُ ... وكانت هذه هي فرصة «عثمان» ليلعب بأعصابهم هو و«فهد»، فأطلقَا أصواتًا عالية متعددة من بوق الدراجة الإلكتروني، وزادَا من سرعة دورانهما حولهم. حتى حضرَت «إلهام» وأخذَت تلفُّ وتدور بدراجتها أمام فتحة الكهف مشارِكةً الشيطانَين.

ولم يستطع القطط تحمُّلَ ذلك ... ووسط دهشة الشياطين ... علَا صوتُ صراخهم الذي يُشبه إلى حدٍّ كبيرٍ صراخَ القطط البرية معلنين استسلامهم.

وطبعًا لم يكن هذا مطلبهم الوحيد ... بل الأهم منه ... أين «ريما»؟

وأين سيارتهم المرسيدس السوداء ... وفي هذه الأثناء كان «أحمد» قد وصل إلى مكان تواجد السيارة «الشيروكي» متتبِّعًا الذبذبات الصادرة منها.

وعن طريق التقرير الذي تركوه له في جهاز كمبيوتر السيارة ... لم ينتظر ليحصل على قسط من الراحة ... من عناء السفر ... بل انطلق إلى حيث يقع الكهف ... وأمام فتحتِه، أعلن عن احترافه لقيادة الدراجة النارية، بالدوران في حركات استعراضية ... وكأنه يتحدَّى مَن بالكهف ... فخرج له «عثمان» يدور حوله ... فدار هو في اتجاه العكس ... مما خلق احتكاكًا خشنًا بينهما كاد يُودي بحياتهما ... فابتعد «عثمان» في حركة تمثيلية ... منهزمة، ودخل هو الكهف يُطارد «إلهام» و«فهد» اللذَين تركاه ... وفرَّا من الكهف ... واقفَين خارجه. في إصرار على القبض على القطط ...

فطلب «أحمد» من القطط أن يركبَا خلفه ... وكان الموجودان منهم رجلَين فقط ... فلم يجدَا مخرجًا مما هما فيه ... غير الانصياع لأمره ...

وما كاد يخرج بهما من الكهف حتى كان بقيةُ الشياطين في أثره. يطاردونه عن قرب ... و«القطَّان» يتابعانهم في قلق شديد ...

إلا أن «أحمد»، والذي ظنَّ أنهما صدَّقا خدعتَه، شعر بفوهة مسدس في ظهره، وسَمِع صوت القطِّ الراكب خلفه يأمره بالاختباء خلف إحدى الصخور العملاقة، التي قابلاها في الطريق ... ثم أمره بالنزول، وقام بتفتيشه ... وتجريده من كلِّ أسلحته ...

ثم أجلسه أمام صديقه ... وجلس هو أمامه يقود الدراجة متخذًا طريقًا رمليًّا غيرَ ممهد ... وتحيَّر «أحمد»؛ فكيف عرف هذا الرجلُ القطُّ ... هذه المسالك ... والظلام يملأ فضاء الصحراء.

وتوقَّفَت الدراجة النارية ... وتحت تهديد السلاح ... سار أمامهما ... حتى اصطدم بجسمٍ معدنيٍّ ... لم يعرفه إلا عندما تحسَّسه ... إنها سيارتهما ...

وسمعَت أذناه فتْحَ الباب ... ثم شعر بمن يدفعه من الخلف إلى داخل صالون السيارة، والذي كان الشيءَ الوحيد المضيءَ في الصحراء ... وما إن جلس حتى رأى بجواره «ريما» نائمة ... فسُرَّ كثيرًا ...

وخلف عجلة القيادة، جلس أحدُ القطط، وبجواره صديقه ... وما إن أدارَا محركَ السيارة، حتى رأى كشافَين يُضاءَان بالقرب منهم، وفي مواجهة السيارة، فعرف أنها سيارة أخرى لهما، وقد سَمِع محرِّكَها يدور هي الأخرى ... ثم انطلقَت تلفُّ حول السيارة الجالس بها إلى أن توقَّفت بجوارها ... وفتح زجاج أحد الأبواب الخلفية، فأطلَّ منه رأسُ رجل أحمر الوجه، ما إن رآه حتى عرفه، إنه «فولف» الذي باغتَه بالسؤال قائلًا: هاه ... هل وجدت الديسك؟

أحمد: نعم.

فولف: وكيف حصلتَ عليه؟

أحمد: هذه مهمتي.

فولف: وأين هو؟

أحمد: النصف مليون دولار أولًا.

فولف: أهو معك؟

فقال «أحمد» بنفاد صبر: هل أحضرتَ النصف مليون دولار؟

إلا أن «فولف» لم تُعجبه طريقةُ كلامه، وكان هذا هو ما يريده «أحمد»، فأمر القطط بتفتيشه.

فاستسلم لهم حتى عثرَا معه على الديسك ... فسلَّماه لـ «فولف» الذي أمرهما بقتله.

إلا أن «أحمد» لم تُعجبه أخلاقُ «فولف»، فانطلق كالصاعقة يلفُّ ويدور، وينثني وينفرد. وتنخفض قدماه وترتفع ... وتنقبض ذراعاه وتنبسطان، وبين كلِّ هذا وذاك يتطوَّح القطَّان في ذهول، غير مصدقَين لما يحدث ... حتى أرهقتهما كثرةُ ما أصابهما منه. فألقيَا بأسلحتهما بناء على طلبه، وشاهد في هذه اللحظة «فولف» يجري إلى السيارة النائمة بها «ريما» محاولًا إغلاقَ البابِ خلفه. لولا اعتراض «أحمد» له ...

فقال له في فزع: أنت تريد النصف مليون دولار ... أليس كذلك؟

أحمد: نعم ...

فولف: لك هذا ... ولكن يجب أن أتأكد من الديسك أولًا.

أحمد: إذن أعطني إياه إلى أن تتأكد ...

فولف: نحن فقط نحتاج إلى جهاز كمبيوتر ...

أحمد: وكيف سأدبِّره لك هنا في الصحراء؟!

فولف: سنذهب إلى مكان ما ...

أحمد: لن نذهب إلى مكان يخصُّك ... فلم أَعُد مطمئنًّا لك ...

فولف: اقترح أنت المكان المناسب ...

أحمد: أعطني إذن الديسك وسِرْ خلفي.

وأثناء حصوله على الديسك منه، لاحظ أنه ينظر بطرفِ عينه إلى بعيدٍ، وبدَا عليه الارتياح ... وفي نفس الوقت لاحظ أن «ريما» تتململ في نومها ثم نظرَت له بنصف عين وأغلقَتها ثانية ...

فالتفتَ خلفه في سرعةٍ خاطفةٍ ليرى ما يجري حوله ...

فتحرك «فولف» بالسيارة في قفزة مفاجئة ... أطاحَت به بعيدًا ... ثم دار بها حوله ... يراقبه حتى وجده لا يتحرك، فنزل من السيارة مقتربًا منه في حذر، وفي نيته الحصول على الديسك ...

فاستغلَّت «ريما» الفرصة وجلست خلف عجلة قيادة السيارة ... وانطلقَت بها، تحوم حول «فولف» الذي جرى مبتعدًا عنها في ذهول ... فأشار لها «أحمد» أن تهرب هي وكأنهما لا يعرفان بعضهما ... فأكملَت سيرها ...

وعاد «فولف» يبحث عن الديسك مع «أحمد»، وكان القطَّان قد بدآ يُفيقان ... فساعدَا «فولف» على حمل «أحمد»، ووضعاه في سيارتهما. وانطلقَا يقطعان الصحراء به ...

وطال بهما السير حتى بلغَا الإسكندرية ... ولم يتوقَّفَا. بل أكملَا سيرهما، حتى الكيلو عشرين من الطريق الصحراوي ... ولم يتوقَّفَا أيضًا بل واصلَا السير حتى ميدان الرماية، ومنه إلى شارع فيصل ... حيث مبنى مجاور للمقرِّ السريِّ ... يتألَّف من دورَين ... وحوله سورٌ مبنيٌّ من الحجارة ... تُغطيه أشجار كثيفة الخضرة ... رأى بينهما بعضَ الشباب يعبرون السور قفزًا من فوقه ...

وعندما توقَّفَت السيارة، وضعوا على عينَيه شريطًا لاصقًا ... وحاولوا إيقاظه فتململ في نومه موحيًا لهم بأنه يستيقظ من إغفاءة عميقة.

ثم قادوه أمامهم حتى اجتمعوا في غرفة ... وعلَت بينهم الهمهمات والأحاديث المتداخلة، التي سمع من بينها صوتَ مفاتيح جهاز كمبيوتر ثم آهات استحسان من «فولف» ... ومرَّ الوقتُ بطيئًا إلى أن سَمِعه يأمرهم بإبعاده عن المكان قدرَ الإمكان وإعطائه عشرة آلاف دولار ... فقد يحتاجونه يومًا ما ... وقبل أن يُركبوه السيارة، وقعَت على رقابهم ... أيادٍ لها ثقلٌ ... فسقطوا في إغماءة طويلة ... فتركوهم، صاعدين المقرَّ ... حيث يجلس «فولف» ... الذي ما إن رآهم حتى حاول أن يقطع التيارَ الكهربيَّ عن جهاز الكمبيوتر، ليمسحَ ما تم تخزينه عليه من الديسك ... ولكن كانت أيدي «أحمد» أسرع إليه ... فتركتهم «ريما» ... ذاهبة إلى المقرِّ ... سيرًا على الأقدام، لتُبلغ «صفر» بالقبض على القطط إلا واحدًا ... والقبض على «فولف» بعد أن حلَّ شفرة الديسك ... وهي في شوقٍ لمعرفة ماذا يحمل من مفاجآت ...

هنداوي